

التعريب بين النظرية والتطبيق

بقلم : محمد السيد علي بلاسي

والتجارة والعلوم والفلسفة والآداب والدين ومختلف مناحي السياسة والاجتماع⁽¹⁾؛ فكان من الضروري نتيجة لهذا الاحتكاك : تبادل المصطلحات العلمية، واقتراض مسميات الأشياء التي توجد في أمة ولا توجد في الأخرى منهما؛ مما اضطر العربي — حتى يساير موكب الحضارة — أن يستخدم اللفظ الأجنبي، بعد ما يطوعه للغة؛ فيعربه، وبذلك يصير اللفظ عربياً، يضاف إلى لغته، كما يضم إلى ألفاظه فيستعمله؛ وهكذا دخلت كثير من المفردات الأجنبية في اللغة العربية.

فالتعريب — إذن — هو : أن تنفوه العرب باللفظ الأجنبي على منهاجها وطريقتها...

الداعي إلى التعريب :-

- 1 — الضرورة : وقد تحدثت عنها آنفاً.
- 2 — خفة اللفظ الأجنبي في النطق من نظيره

إن تبادل التأثير والتأثر بين اللغات قانون اجتماعي إنساني، وإن اقتراض بعض اللغات من بعض ظاهرة إنسانية أقام عليها فقهاء اللغة المحدثون أدلة لا تحصى... والعربية في هذا المضمار ليست بدعا من اللغات الانسانية، غير أنها تفترق عنها : ببراعتها في تمثيلها للكلام الأجنبي، عن طريق صوغه على أوزانها، وإنزاله على أحكامها، وجعله جزءاً لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها..

ولعل العامل الرئيسي في دخول الكلام الأعجمي في اللغة العربية يرجع إلى : «ما أتيح للشعوب الناطقة — من قبل الاسلام ومن بعده — من فرص للاحتكاك المادي والثقافي والسياسي بالشعوب الأخرى، وما نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعي للحضارة العربية من ظهور مستحدثات لم يكن للعرب ولا للغتهم عهد بها من قبل، في ميادين الاقتصاد والصناعة والزراعة

(1) د. علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة، ص 199، 200، ط. دار نهضة مصر.

العربي : وذلك مثل (المسك) بدلا من (المشموم)،
(التوت) بدلا من (الفرصاد)، و(الياسمين) بدلا من
(السمسق والسجلاط)، و(الخيار) بدلا من
(القد)....

3 — إعجاب أمة بأخرى فتقتبس منها بعض
ألفاظ لغتها.

4 — الرغبة في الافتخار وحب الظهور :
فقد يتكلم المرء بالكلمة الأجنبية ؛ ليظهر أمام الناس
بأنه يجيد لغات أخرى غير لغته⁽²⁾...

طريقة التعريب :—

لقد سلك العرب في تعريبهم للكلمات
الأعجمية التي استعملوها طريقتين :—
الطريقة الأولى : التغيير في أصوات الكلمة
وصورتها بما يوافق ألسنتهم وأبنية كلامهم : حفظا
لألسنتهم من لكنة العجم، فيتناولون اللفظ الأعجمي
فيصقلونه ويهندمونه بحسب أوزان لغتهم ومنطق
لسانهم، فيخرج من لسانهم كأنه عربي صميم⁽³⁾.
وهذا التغيير قد أخذ عندهم صورا أشهرها :

1 — تحريف في الأصوات : كأن يكون
بإبدال حرف من حرف مثل : جورب، وأصلها
الفارسي : كورب، وتعني : لفافة الرجل.

أو يكون بزيادة حرف مثل : ديباج، وأصلها
الفارسي : ديبا.

أو يكون بنقصان حرف مثل : نشاء،
وأصلها : نشاسته.

أو يكون بتحريك ساكن مثل : كازرون —
اسم مدينة وهي في الفارسية بسكون الزاي،

فينطقونها : كازرون.

أو يكون بإبدال حركة مثل : دستور، وهي
في الفارسية بفتح الدال، غير أنها تعرب بضمها نظرا
لأنه ليس في لغة العرب كلمة على وزن فَعْلُول إلا
نادرا.

2 — تحريف في الأوزان : ويحدث هذا
نتيجة للتحريف في الأصوات، وذلك إن بزيادة
حرف على أحرف الكلمة الأعجمية أو نقصان
حرف منها، أو إبدال حركة بحركة أو حرف من
حرف، أو تحريك ساكن، كل ذلك يؤدي لا محالة
إلى انحراف وزن الكلمة الأعجمية عن وضعه القديم،
وقد أدى هذا الانحراف بكثير من الكلمات الأعجمية
أن أصبحت أوزانها على غرار الأوزان العربية، وذلك
مثل كلمات : درهم وبهرج ودينار وديباج وجورب
فقد أصبحت، بفضل ما دخلها من التغيير، على
أوزان كلمات عربية مثل : هجرع (وهو الأحق)
وسهلب (الرجل الطويل)، وديماس (وهو الحمام)،
وجهور (وهو الفرس الذي ليس بغليظ الصوت ولا
أغته)⁽⁴⁾.

وهذا القسم الذي وقع فيه التغيير يعرف عند
علماء اللغة باسم «المعرب». فالمعرب — إذن —
هو : اللفظ الأجنبي الذي استعملته العرب بعد
تطويعه للغتهم سواء بالزيادة أو النقص أو القلب أو
الالحاق.

الطريقة الثانية : وهي إدخال الكلمة الأجنبية
بصورتها في العربية دون تغيير، ويعرف هذا باسم
«الدخيل»، وذلك مثل : خراسان، وإبريسم،
وتليفون.

(2) د. إبراهيم محمد أبو سكين : فقه اللغة، ص 43 — بتصرف يسير — ، ط. الأمانة.

(3) المرجع السابق : ص 43.

(4) د. علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة، ص 204، 205 — بتصرف —

غير أن هناك كثير من الكلمات الأجنبية قد تغير مدلوله في العربية عما كان عليه في لغته الأولى. فبعضها استعمل في غير ما وضع له لعلاقة ما بين المعنيين، وبعضها انحط إلى درجة وضعية في الاستعمال فأصبح من فحش الكلام وهجره مع أنه ما كان يستعمل في لغته الأصلية على هذا الوجه، وبعضها سما إلى منزلة راقية فأصبح من نبيل القول ومصطفاه، وبعضها قد عمم مدلوله الخاص فأصبح يطلق على أكثر مما كان يدل عليه، وبعضها قد خصص معناه العام وقصر في العربية على بعض ما كان عليه، من ذلك مثلاً: الجون، فإن معناه في الفارسية: اللون على العموم، ولكنه قصر في العربية على الأبيض والأسود.

مقاييس العجمة :-

لقد وضع بعض علماء اللغة علامات عامة، بها تعرف الكلمات الأعجمية، من هذه العلامات :

- 1- أن تكون الكلمة مخالفة للأوزان العربية، مثل : إبريسم، أمين، جبريل.
- 2- أن تكون الكلمة فاؤها نونا وعينها راء، مثل : نرجس، نرد، نورج.
- 3- أن تنتهي الكلمة بدال يعقها زاي، مثل : مهندز، الهنداز.
- 4- أن يجتمع في الكلمة الصاد والجيم، مثل : الصولجان، الجص، الصنج.
- 5- أن تشتمل الكلمة على الجيم والقاف، مثل : المنجنيق، الجوسق، الجوقة.

6- أن تكون الكلمة رباعية أو خماسية مجردة من حروف الذلاقة (وهي الميم والراء والباء والنون والفاء واللام) مثل : جوسق، عقجش، حظائج.

7- أن تكون الكلمة مبنية من باء وسين وتاء. فإذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل⁽⁶⁾.

8- أن تجتمع في الكلمة الجيم والطاء، مثل : الطاجن، والطيجن.

9- أن ينقل عن أحد من أئمة العربية أن الكلمة المعنية أعجمية⁽⁷⁾.

أطوار التعريب :-

لقد قسم العلماء الكلمات الأجنبية التي دخلت العربية إلى أطوار ثلاثة :

1- المغرب : وهو ما استعمله العرب الفصحاء من الألفاظ الموضوعية لمعانٍ في غير لغتها⁽⁸⁾.. وقد اصطلح المحدثون من الباحثين على أن العرب الفصحاء هم عرب البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجري وعرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ويسمون هذه العصور بعصور الاحتجاج⁽⁹⁾.

ويدخل في هذا الطور جميع الكلمات الأعجمية التي وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

2- المولد : وهو ما استعمله المولدون (وهم الذين ولدوا بعد عصور الاحتجاج) من ألفاظ

(5) انظر المرجع السابق : ص 205 وهامشها.

(6) العلامة أبو منصور الجواليقي : المغرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص 60، ط 2 - دار الكتب المصرية 1389 هـ.

(7) العلامة السبوطي : المزهرة، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين 1 / 270، ط 3 - دار التراث.

(8) المصدر السابق : 1 / 268 - بتصريف يسير -

(9) د. علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة، ص 199.

أعجمية لم يعربها فصحاء العرب. مثل : ترجم الرسالة، وبيض الكتابة.

3 — المحدث أو العامي : وهو ما عربه المحدثون في العصر الحديث وشاع في لغة الحياة العامة. (والمحدثون هم الذين عاشوا بعد المولدين إلى أيامنا هذه).

وتتميز المولد من المحدث صعب، لعدم الاتفاق على سنة معينة ينتهي عندها عصر المولدين ويبدأ بها عصر المحدثين، ثم لصعوبة معرفة الوقت الذي ظهرت فيه اللفظة المولدة أو المحدثه.. (10).

موقفنا من التعريب :—

لاخلاف بين العلماء في جواز استعمال المعرب، وهو ما استعمله فصحاء العرب من كلمات دخيلة. وقد ورد كثير من الألفاظ المعربة في القرآن الكريم نفسه (11) وفي أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام.

أما ما استخدمه المولدون في مختلف العصور، وما أدخله بعض الباحثين في العصر الحاضر أو يرى إدخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالاختراعات أو المصطلحات العلمية والفنية، فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله إلا عند الضرورة، لأن اللغة العربية يمكن أن تخصص ألفاظا من مفرداتها للدلالة على مستحدثات العلوم والفنون، ولن يرهقها هذا من أمرها عسرا : حيث إن في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة والمستعملة، مما يصلح أن يوضع لهذه

المسميات الحديثة، ولنا بهذا الصدد أسوة حسنة فيما فعله العرب أنفسهم في صدر الاسلام والعصر العباسي، وهذه إحدى الغايات الجليلة التي يعمل على تحقيقها «مجمع اللغة العربية» (12).

ولله در حافظ إبراهيم إذ يقول على لسان اللغة العربية :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
وتنسيق أسماء لاختراعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدقاتي
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
وفيكم — وإن عز الدواء — أساتي ؟!

هذا، وقد ذكر الدكتور / صبحي الصالح — في كتابه «دراسات في فقه اللغة» — شروطا لا بد من مراعاتها عند القيام بالنقل والتعريب وهي (13) :

أ — ألا نلجأ إلى التعريب إلا عند الضرورة، انسجاماً مع القرار الحكيم الذي اتخذته مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ونصه : «يجوز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم». وقد علق الأمير الشهابي على قيد «الضرورة» بقوله : «أرى أن قيد «الضرورة» الذي وضعه المجمع للتعريب هو ضرورة : أقول هذا لأنني عارف بسخافات بعض أساتيد العلوم الحديثة، الذين عربوا ألفاظا علمية أعجمية، كان في استطاعتهم أن يجدوا لها ألفاظا عربية مقبولة بقليل من الجهد، ومن

(10) د. إبراهيم محمد أبو سكين : فقه اللغة، ص 46، 47 — بتصرف —.

(11) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع، راجع للكاتب : المجلة العربية، العدد (91) شبان 1405 هـ، ص 98، 99.

(12) د. علي عبد الواحد والي : فقه اللغة، ص 207، 208، 250، فراجعها تجد مزيدا من التفصيل.

(13) د. صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة، ص 321 — 327، الطبعة العاشرة — دار العلم للملايين.

المعرفة بأصول تلك الألفاظ الأعجمية وبمعانيها» (14).

ب — أما قبل تحقق هذه الضرورة فالترجمة الدقيقة تقوم مقام التعريب، إذا تحرى الناقل العلم بأسرار العربية اللفظ العربي الأنسب لأداء مدلول اللفظ الأعجمي.

فنحن نترجم مثلاً : Microscope : بالمجهر، و Densimètre : بالكثف، و Floriculture : بزراعة الأزهار، وهكذا....

ج — الكف عن استعمال اللفظ المعرب إذا كان له اسم في لغة العرب، إحياءً للفصح وقلاً للدخيل.

د — أن نحاول — كلما اضطررنا إلى التعريب أن ننزل اللفظ المعرب على أوزان العربية، حتى يكون عربياً أو بمنزلة.

هـ — ولا مانع من النحت إذا اضطررنا إليه في تعريب المصطلحات العلمية والفنية، ولكن عند الضرورة القصوى.

فالطريقة المثلى — إذن — في نقل مدلولات

المكتشفات الأجنبية والاختراعات العلمية والاصطلاحات في شتى المجالات، هي : ألا نلجأ إلى التعريب — وهو أشدها خطراً على لغتنا الخالدة — إلا بعد أن نكون قد بذلنا الجهد في كل وسيلة قبلها، فالترجمة أولاً، فإذا لم يوجد للفظ الأجنبي مقابل عربي فاشتقاق ثانياً، فيشتق لفظ من كلمة عربية تؤدي معنى المسمى، فإذا عجزنا فالمجاز ثالثاً فيتجوز للفظ مجاز بعلاقة في المعنى بين المسمى والمجاز، فإذا عجزنا ننحت للكلمة لفظاً مركباً من كلمتين يؤدي معناهما مدلول الشيء المسمى، فإذا عجزنا نعرب اللفظ الأجنبي تعريباً مطابقاً لقواعد اللغة، ونصقله وفق أوزان لغتنا ومنطق لساننا، حتى يشبه اللفظ العربي الفصيح؛ وبذلك نترك اللغة العربية للخلف من بعدنا كما تركها لنا آباؤنا الأولون (15).

وإننا على يقين من أن نقلة العلوم الحديثة في هذا العصر إذا وضعوا ما ذكرنا، من الشروط نصب أعينهم خدموا لغتهم أخلص خدمة، وعبروا عن خصائصها أصدق تعبير، فما هي باللغة الجامدة الميتة، بل هي اللغة المرنة المطواع التي كتب الله لها الثناء والبقاء والخلود... (16)

(14) الأمير مصطفى الشهابي : المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ص 63، ط. معهد الدراسات العربية العالمية سنة 1955 م.

(15) د. إبراهيم محمد أبو سكين : فقه اللغة، ص 50 — بتصرف يسير —

(16) د. صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة، ص 327.